

حرب القرم الثانية 1853-1856م وأثرها على الدولة العثمانية.
**Crimean War II 1853-1856 and its impact on the Ottoman
 Empire.**

1- عبد القادر بورمضان *، جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة. الجزائر

a.bouremdane@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2024 /10/05 تاريخ القبول: 2024 /11/27 تاريخ النشر: 2024 /12/17

ملخص:

يتناول هذا المقال إحدى الفترات الهامة في تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها بالدول الأوروبية، حيث دخلت الدولة العثمانية خلال القرن 19 في مرحلة ضعف شجع بعض القوى على التحرش بها أو التدخل في شؤونها الداخلية، وهذا ما سأحاول معالجته من خلال هذه الورقة العلمية الموسومة بـ "حرب القرم الثانية 1853-1856م وأثرها على الدولة العثمانية"، ولتحليل الموضوع نطرح الإشكالية المحورية التالية: هل تعتبر حرب القرم الثانية 1853-1856م محطة للحفاظ على الدولة العثمانية أم خطوة لتقسيم ممتلكاتها؟ وتستدعي هذه الإشكالية تساؤلات فرعية ومنها: ما حيثيات وأسباب حرب القرم الثانية؟ كيف ساهمت بريطانيا وفرنسا وبقية الدول في هذه الحرب؟ هل ساهمت حرب القرم الثانية في حماية الدولة العثمانية أم زيادة التدخل في شؤونها؟ ومنه أعتمدت في دراسة هذا الموضوع على خطة تضمنت مجموعة من العناصر بدأتها في تحليل أسباب حرب القرم الثانية، وبعدها عالجت الموقف البريطاني والفرنسي من حرب القرم وكيف سارت مجرياتها العسكرية، وأنهت إلى كيفية التي أنهت بها حرب القرم الثانية من خلال معاهدة باريس 1856م وما أفضت إليه من مخرجات وقرارات تخص الدولة العثمانية والدول الأوروبية المعنية.

كلمات مفتاحية: القرم، روسيا، الدولة العثمانية، الدول الأوروبية، مقاطعة الدانوب، معاهدة باريس.

*- المؤلف المرسل

Abstract: This article deals with one of the important periods in the history of the Ottoman Empire and its relationship with the European States. During the 19 century, the Ottoman Empire entered into a phase of weakness that encouraged some forces to harassment or interfere in their internal affairs. This is what I will try to address through this scientific paper marked "Crimean War II 1853-1856 and its impact on the Ottoman Empire." Is the Second Crimean War 1853-1856 a station for the preservation of the Ottoman Empire or a step towards the division of its property? This problem calls for sub-questions: what are the reasons and reasons for the Second Crimean War? How did Britain, French, and the rest of the world contribute to this war? Has the Second Crimean War contributed to the protection of the Ottoman Empire or increased interference in its affairs? In studying this subject, I drew on a plan that included a series of elements that I began to analyse the causes of the Second Crimean War, after which I addressed the British and French position on the Crimean War and how its military actions proceeded, and concluded how the Second Crimean War ended through the Treaty of Paris 1856 and the resulting outcomes and decisions of the Ottoman Empire and the European States concerned.

Keywords: Crimea, Russia, Ottoman Empire, European States, Danube Province, Treaty of Paris

مقدمة

تعتبر الدولة العثمانية (1299-1923) من أعظم الامبراطوريات التي عرفها العالم، أمتد سلطانها من غرب آسيا إلى جنوب شرق أوروبا، وشمال افريقيا، وبلاد الشام، ومصر والحجاز، غير أنها بدأت تضعف بشكل واضح خلال القرن 19م حتى أصطلح عليها بالرجل المريض، ولعل حرب القرم الثانية 1853-1856م تعتبر مظهرا من مظاهر هذا الضعف، وهو موضوع هذه الورقة العلمية، حيث تميزت علاقة الدول العثمانية بروسيا القيصرية بالتوتر والحروب، بسبب رغبة هذه الأخيرة الوصول الى المياه الدافئة بالبحر المتوسط وتحصيل امتيازات، لكنها وجدت منافسة شديدة من طرف فرنسا

وبريطانيا، وهوما جعلهما يتحالفان مع الباب العالي ضد روسيا في حرب القرم الثانية 1853-1856م، لإطالة عمر الدولة العثمانية حتى تحين فرصة تقسيم أملاكها.

أهدف من خلال هذا المقال إلى إبراز طبيعة العلاقات العثمانية الأوروبية القائمة على الأطماع والامتيازات، وكيف سعت بريطانيا وفرنسا لإبعاد خطر روسيا القيصرية عن أملاك الدولة العثمانية ليس حبا فيها، ولكن كاستراتيجية للإنفراد بها وتجزئة ممتلكاتها فيما عرف بالمسألة الشرقية.

1- أسباب حرب القرم غير المباشرة

تعتبر روسيا القيصرية هي المحرك الرئيسي لما سمي بالمسألة الشرقية (la question d'orient) نتيجة علاقتها السيئة بالدولة العثمانية لفترة طويلة من الزمن وقد تضافرت عدة عوامل في قيام حرب القرم بين الدولة العثمانية مؤثرة من بريطانيا وفرنسا ضد روسيا القيصرية.

1.1 الأسباب الاقتصادية:

عملت روسيا جاهدة من أجل وصول سفنها التجارية الى موانئ البحر الأسود ومنها الى البحر المتوسط، خاصة صادرتها من القمح لكن الدولة العثمانية نافستها في هذه التجارة من خلال تصديرها كميات هائلة من القمح عبر موانئ ولايتها الدانوبيتين ولاشيا وملدافيا.¹ استبدلت بريطانيا الحنطة الروسية بالحنطة العثمانية بسبب الحواجز الجمركية التي كانت تفرضها الأسواق الروسية على المستوردات الإنجليزية، فوجدت بريطانيا أسواقا أكثر انفتاحا لدى العثمانيين كما عرقلت روسيا النمسا في نشاطها التجاري مع الدولة العثمانية خاصة فيما يتعلق باستيراد القمح من ولايتي الدانوب والبحر الأسود، فسعت النمسا الى ابعاد روسيا ما خلق نوع من التضارب بين الدولتين.²

¹ رعد مجيد العاني، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الصراعات والخلافات 1789م-1914م المعرفة، عمان، الاردن، 2008، ص 79.

² مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية 1789م الى 1914م، ج3، ط3، دار أسامة، عمان، 2009، ص 796.

2.1 الأسباب السياسية:

كانت منطقة البلقان تشهد أوضاعا مضطربة خلال الفترة التي سبقت الحرب القرم سنة 1853م، فهذه المنطقة التابعة للسلطة العثمانية تتألف من مجموعات سكانية متعددة الأعراق والمذاهب الدينية، كما تتحدث عدة لغات.³

اتسم الحكم العثماني لمنطقة البلقان بالليونة وعدم استخدام القوة إلا في حالة تهديد جدي للسيادة العثمانية، وهو ما شجع الحركات الاستقلالية بالمنطقة، حيث تمكن اليونانيين من نيل استقلالهم عام 1822م، ما دفع بقية العرقيات للحدود حذوهم ومنهم الإفلاق والبغدان، والجبل الأسود للطالبة باستقلالهم، وسارعت روسيا لتشجيع سكان هذه المناطق للثورة على الباب العالي، كون سكانها يتحدثون الروسية ويدينون بالمذهب الأرثوذكسي، ما سبب سوء العلاقة بين روسيا والدولة العثمانية ووقوع معارك بين جيش الدولتين ببلاد الصرب انتهت بتوقيع اتفاقية بين الدولتين سنة 1820م نصت على منح السلطان العثماني حكم ذاتي مخفف لبلاد الصرب.⁴

لم تكتفي بذلك بل وسعته للإفلاق والبغدان، عندما طالب قيصر روسيا من الدولة العثمانية لمنح الحقوق والامتيازات لسكان هذه المنطقة، فأضطر السلطان العثماني عبد المجيد الأول 1839-1861م لقبول طلب روسيا بتوقيع معاهدة عام 1848م نصت على منح حكم شبه ذاتي للإفلاق والبغدان، بينما شجعت روسيا حاكم الجبل الأسود القس "دانيلو" القيام بثورة ضد العثمانيين فحدثت احتدامات عسكرية عنيفة بين الجيش الروسي والجيش الإنكشاري، تمكن خلالها العثمانيين من قمع الثورة وتوقيع معاهدة صلح مع سكان هذه المنطقة عام 1852م.⁵

زادت الأزمة وتعمقت بين روسيا القيصرية و الدولة العثمانية. وكادت تؤدي الى قيام حرب أخرى بينهما، كما أثارت هذه الأزمة قلق لدى عديد الدول الأوروبية ومنها النمسا خوفا من استغلال روسيا

³. عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2004، ص 465.

⁴. محمد سهيل طقوس، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1993م، ص 393.

⁵. ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار الحامد، عمان، الاردن، 2008، ص ص 97-

للظروف وشنها حرب ضد الدولة العثمانية والسيطرة على البلقان، لذلك سعت للوساطة مع الباب العالي لمنع حدوث ذلك بعيدا عن التدخل الروسي.⁶

3.1 الأسباب الدينية:

تعتبر فرنسا من الدول الأوروبية السباقة للحصول على امتيازات دينية تتعلق بسلامة حجاجها وحماية الأقليات الكاثوليكية في الأراضي العثمانية بالمشرق، ومع بداية النصف الثاني من القرن 18م برزت روسيا كدولة قوية أرثوذكسية، وبدأت تتدخل في شؤون الدولة العثمانية، وحققها في حماية الأماكن المقدسة ومنح الأرثوذكس الصدارة في المعاملة، ومع انشغال فرنسا بالثورة لعام 1789م وتزايد قوة روسيا تراجعت مكانة الرهبان الكاثوليك، وزادت قوة الرهبان الأرثوذكس خاصة بفلسطين والقدس حتى عام 1852م عندما أظهر نابليون الثالث اهتماما بالقضايا الدينية، من خلال إرساله مذكرة الى الباب العالي بصيغة ودية يطالب فيها باستعادة الإمتيازات الفرنسية القديمة بالأماكن المقدسة.⁷

بعد ملاحظة وتردد وافق السلطان العثماني عبد المجيد الأول على المطالب الفرنسية وأستعاد الرهبان الكاثوليك حقوقهم، كما استعادوا مفاتيح كنيسة بيت لحم، وهو ما أدى الى استياء قيصر روسيا الذي كان يعتقد أن تزايد نفوذ فرنسا في الإمبراطورية العثمانية وفي أوروبا يعتبر دعم وتأيد للحركات الثورية القومية في كل من ألمانيا وإيطاليا.⁸

2- الأسباب المباشرة لقيام حرب القرم

سعت روسيا بشتى الطرق لجر الدولة العثمانية للحرب عام 1853م، فلم تكن الأسباب الخفية كافية، لذلك تعين عليها خلق سببا مقنعا ليكون حجة الإعلان الحرب ضد العثمانيين.⁹، فروسيا خلال هذه الفترة كانت مقتنعة بضعف الدولة العثمانية (الرجل المريض)، وسعت لدى كل من بريطانيا وفرنسا لاقتسام أملاكه، لكن هاتين الأخيرتين كانتا متحفظتين من أطماع روسيا فعمد القيصر نيقولا إلى

⁶ وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط دار الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، 2003، ص 255.

⁷ رعد مجيد العاني، المرجع السابق، ص 80.

⁸ مفيد الزبيدي، المرجع السابق، ص 799.

⁹ وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 256.

الاتصال بالباب العالي سنة 1853م من خلال إرساله الأمير منتشكوف إلى السلطان العثماني عبد المجيد الأول وعرض عليه مشروع معاهدة من ثلاث نقاط.

- 1- سحب الامتيازات الممنوحة للرهبان الكاثوليك بفلسطين ومنحها للرهبان الأرثوذكس.
- 2- الاعتراف لروسيا بحق حماية الرعايا الأرثوذكس بالدولة العثمانية.
- 3- عقد الباب العالي لتحالف دفاعي مع روسيا .

بعد عرض السلطان مسودة هذه المعاهدة على بريطانيا أشار عليه سفيرها اللورد ستراتفورد برفضها، بينما طلبت الحكومة الفرنسية تجهيز أسطولها للبحر المتوسط، حيث اعتبرت حكومة الدولتين الإتفاقية مبررا لروسيا تستغله للقضاء على الدولة العثمانية.¹⁰

قدم منتشكوف في 16 مارس 1853م مذكرة للسلطان العثماني تطلب فيها روسيا حل مسألة الأماكن المقدسة بما يضمن حق الرعايا الأرثوذكس، ويضع حدا لتجاوزات الرهبان الكاثوليك، وكذا سحب مفتاح كنيسة بيت لحم منهم ووضع قبر السيدة العذراء تحت رعاية الأرثوذكس.¹¹

بنصيحة من سفيرو بريطانيا وفرنسا قبل الباب العالي مطالب روسيا، حيث أصدر السلطان العثماني فرمانا يوم 4 ماي 1853م يقضي بحل مسألة الأماكن المقدسة، غير أن منتشكوف قدم مذكرة جديدة للسلطان طالبت فيها روسيا باستقلال الجبل الأسود، فلم يستجب السلطان للطلب الروسي وأعتبرها تجاوزا خطيرا لحقوقه، فشكل هذا الرد صدمة لمنتشكوف الذي أرسل مذكر للباب العالي تتضمن صفة الإنذار، فتدخل سفير النمسا وطلب من منتشكوف تعويض إنداره بمذكرة دبلوماسية يطلب فيها من السلطان منح الأرثوذكس امتيازات بالأماكن المقدسة، ومن جهة أخرى شجعا سفيرو فرنسا وبريطانيا السلطان العثماني على رفض هذه المذكرة يوم 20 ماي 1853م لتنهى بذلك مهمة منتشكوف وتدخل العلاقات الروسية العثمانية مرحلة الحرب.¹²

¹⁰. عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة، لبنان، 1973، ص 232.

¹¹. وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 257.

¹². سلمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ-1999م، ص 187.

3- قيام حرب القرم 1853-1856.

1.3 إعلان الدولة العثمانية الحرب على روسيا.

• ثانيا: الجداول والرسوم التوضيحية

إثر فشل المبعوث الروسي منتشكوف في تحقيق مطالب روسيا خلال المفاوضات، لم يبقى أمام القيصر روسيا سوى فرض إردته بالقوة العسكرية، ووضع بذلك دول أوروبا وفي مقدمتهم فرنسا وبريطانيا أمام الامر الواقع¹³ وسرعان ما أداع القيصر نيقولا بيانا على شعبه يوم 25 جوان 1853م يعلن فيه شن حرب صليبية على الدولة العثمانية، وأعطى أوامره لجيشه للتحرك والاستيلاء على ولايتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا، وثم تحقيق ذلك في 3 جويلية 1853م، وتظاهر القيصر بعدها أنه لا يريد الحرب مع الدولة العثمانية بل أعتبر الخطوة ضغطا على الباب العالي، وأن القوات الروسية ستسحب بمجرد الإعراف بحقوق الأرثوذكس في بيت المقدس.¹⁴

أعتقد السياسة الروس أن استخدام القوة العسكرية يمكنهم في وقت وحيز من تحقيق أهدافهم في ظل ضعف الجيش العثماني، مستبعدين قيام تحالف فرنسي بريطاني مع الدولة العثمانية، في ظل وجود تقارب روسي فرنسي في هذه الفترة، مع وجود قطيعة بين بروسيا والنمسا، لكن تبين أن ما بنت عليه روسيا خطتها كان خاطئا، حيث أرسلت فرنسا وبريطانيا أسطولهما البحري للرسو أمام ميناء الدردنيل تحسبا لاعتداء روسي على الدولة العثمانية، بينما أتبع النمسا الحياد.¹⁵

أستغل السلطان العثماني عبد المجيد الأول الوضع للتخلص من الضغوط الروسية، ووجه إنذارا إلى القيصر الروسي بتاريخ 04 أكتوبر 1853م، طالبه فيه بسحب الجيوش الروسية من ولايتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا في ظرف خمسة عشر يوما من تاريخ البلاغ.¹⁶

¹³. إبراهيم بك حكيم، تاريخ الدولة العلية التحفة الحلية في تاريخ الدولية العثمانية، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1، بيروت، 1988، ص 215.

¹⁴. محمد فريدك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي دار النفائس، بيروت، 1981، ص 301.

¹⁵. إبراهيم بك حكيم، المرجع السابق، ص 216.

¹⁶. نفسه، ص 216.

تجاهلت روسيا الإنذار العثماني ما دفع الباب العالي لإعلان الحرب عليها يوم 9 أكتوبر 1853م، حيث باشرت الجيوش العثمانية بقيادة عمر باشا بهجومات على القوات الروسية عبر نهر الدانوب ونجحت في عبوره يوم 23 نوفمبر 1853م، بعدما حققت انتصارات غير متوقعة على الجيوش الروسية في عدة جهات، لكن قيصر روسيا نيقولا أمر بشن هجومات معاكسة وسريعة على ميناء سيباستبول بالساحل الجنوبي للبحر الأسود والحق خسائر فادحة بالجيش العثماني بلغت 2000 جندي.¹⁷

تسببت هذه الهزيمة في سخط واستياء لدى العثمانيين، وتخوف لدى فرنسا وبريطانيا، حيث عبر أسطولهما مضيق البوسفور ودخل إلى البحر الأسود في 4 جانفي 1854م لحماية السفن العثمانية من الاعتداءات الروسية، وتم استقبال الحليفين استقبالا عظيما، ما أثار سخط القيصر الروسي لأنه عرف إمكانية دخول بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا، ورغم المساعي الدبلوماسية من روسيا والنمسا لحل الخلاف إلا أن روسيا رفضت وأصررت على مواصلة الحرب.¹⁸

2.3. التدخل البريطاني الفرنسي في حرب القرم:

بعد فشل مساعي الحكومتين الفرنسية والبريطانية لتجنب الدخول في حرب ضد روسيا لحماية الأراضي العثمانية، بدأت في التمهيد للتدخل بمجموعة من الخطوات الدبلوماسية لتبرير خطواتها القادمة وهي الدخول في الحرب إلى جانب الباب العالي،¹⁹ حيث سعت كل منها إلى توقيع معاهدة مع الدولة العثمانية عرفت باسم "معاهدة إسطنبول" بتاريخ 12 مارس 1854م تضمنت نقاط هامة وهي:

1. تعهد كل من فرنسا وبريطانيا بمساعدة الدولة العثمانية ضد أي اعتداء روسي يهدد سلامة أراضيها.
2. تعهد السلطان العثماني بعدم عقد أي صلح مع روسيا دون إعلام فرنسا وبريطانيا.
3. تعهد فرنسا بإرسال خمسين ألف جندي وبريطانيا خمس وعشرين ألف جندي لنجدة الدولة العثمانية.

¹⁷. خليل أيناالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر محمد، م، الأرنؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002، ص 42.

¹⁸. محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 302.

¹⁹. عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي العلم، دمشق، 2006، ص 140.

وتجسيدا لهذا الإتفاق أرسل نابليون الثالث، والملكة فيكتوريا بلاغا للقيصر نيقولا الأول يطلبان منه سحب جيوشه من ولايتي الدانوب، لكن القيصر رد بالرفض ما دفع فرنسا وبريطانيا اعلان الحرب على روسيا بتاريخ 25 مارس 1854م، وسعت كل منها لإستمالة بعض الدول الأوربية مثل النمسا التي رفضت التورط في حرب ضد روسيا خوفا من تهديدات بروسيا، واكتفت فقط بتوجيه إندار لروسيا لسحب جيوشها من ولايتي الدانوب.²⁰

أرسلت فرنسا وبريطانيا أساطيلها نحو شبه جزيرة غاليبولي، وبدأت جيوشهما في مهاجمة القوات الروسية، وبعد معارك استولت القوات البريطانية والفرنسية على 13 سفينة روسية وخرّبوا ميناء شبه جزيرة القرم، فرد القيصر الروسي بإعلان الحرب على الدولتين يوم 11 أبريل 1854م وحاصرت القوات الروسية مدينة سيلستريا ، فسارعت قوات الحلفاء لفك الحصار ، فأضطر القائد الروسي للتراجع، وتابعوه الحلفاء وألحقوا بالجيش الروسي هزائم كبيرة²¹ ونتيجة لهذا الضغط حاول نيقولا الأول كسب ود النمسا وبروسيا للتحالف معه، لكنهما رفضتا وأعلنّا الحياد، فأضطر قائد الجيش الروسي للإنسحاب من ولايتي الدانوب في جويلية 1854م، وعلى أثر ذلك دخلت القوات النمساوية واحتلت المقاطعتين بالاتفاق مع الحلفاء، وأصبحت ولايتي الدانوب تحت ضمان أوروبي بعد الموافقة من الباب العالي.²²

3.3 مجريات الحرب على جبهة القرم:

إثر انسحاب القوات الروسية من ولايتي الدانوب، انتقل الحلفاء الى استراتيجية اضعاف القوة الروسية في البحر الأسود، لمنعها من الوصول الى المياه الدافئة، فكان عليهم نقل الحرب الى الأراضي الروسية وتحديدًا إلى شبه جزيرة القرم ذات الموقع الاستراتيجي ، حيث ميناء سيباستبول ، فأقلعت قوات الحلفاء من مدينة وارنا إلى سيباستبول يوم 7 سبتمبر 1854م، بلغ تعدادها حوالي مئتين ألف جندي من

²⁰. عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية، ط1، دار الأهلية، بيروت، 2008، ص 103.

²¹. عدنان العطار، المرجع السابق، ص 141.

²². عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 104.

الفرنسيين، والبريطانيين، والعثمانيين، والمصريين،²³ فأصطدمت قوات الحلفاء بالقوات الروسية يوم 20 سبتمبر 1854م فوقعت معركة كبيرة على أراضي شبه جزيرة القرم، حيث تعرضت ميمنة الجيش الروسي لحصار من الجيش البريطاني، وميسرته لحصار من الجيش الفرنسي، وحقق الحلفاء انتصارا باهرا على الجيش الروسي بقيادة القائد منتشكوف، وكان بإمكان قوات الحلفاء السيطرة على مدينة سيبياستبول لكنهم لم يستثمروا جيدا انتصارهم رغم أنهم واصلوا هجوماتهم على القوات الروسية وسيطروا يوم 26 سبتمبر 1854م على ميناء تيكلاب غرب شبه الجزيرة القرم.²⁴

استماتت القوات الروسية في الدفاع عن مدينة سيبياستبول وتحصينها لمدة تقارب السنة، حيث كانت الامدادات تصلها عبر بروسيا، وهو ما زاد من قدرة تحمل جنودها، كما حاول القائد الروسي مهاجمة قوات الحلفاء يوم 22 أكتوبر 1854م لكن تأزر القوات الفرنسية والبريطانية أحبط هجمات الروس.²⁵ لكن القوات الروسية عاودت هجماتها يوم 17 فيفري 1855م على القوات العثمانية بمدينة أورباتوبا، غير أن القائد العثماني عمر باشا تصدى للقوات الروسية وأنتصر عليها دون مساعدة من الجيوش الأوروبية، وهو ما كان له أثر سلبي على نفسية القيصر نيقولا الأول،²⁶ وما زاد من حظوظ الحلفاء انضمام سردينيا لهم، وحدث أن توفي القيصر نيقولا الأول وخلفه ابنه ألكسندر الثاني الذي كان ميالا للسلم، وأعلن رغبته لعقد مؤتمر للصلح، فعقد مؤتمر فيينا 16 مارس 1855م، واستمرت حتى جوان من نفس السنة، ولم تفضي عن اتفاق أو صلح يرضي جميع الأطراف، وهو ما دفع بفرنسا وبريطانيا إلى مهاجمة القوات الروسية بالقرم واستولت على مدينة كريس شرق القرم ثم سيطروا يوم 5 سبتمبر 1855م على ميناء سيبياستبول، بعدما فقدت الأطراف المتحاربة حوالي 5 آلاف قتيل،²⁷ ردت القوات الروسية بشن هجومات على القوات العثمانية في مدينة قارص واستولوا عليها، لكن هذا الانتصار لم يغير

²³. أحمد عبد الرحمن مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1986، ص 210.

²⁴. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) مج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 178.

²⁵. نفسه، ص 211.

²⁶. عبد الرؤوف سنو، "العلاقات الروسية العثمانية 1687-1878، حرب القرم مهادتها وتطوراتها ونتائجها 1853-1856"، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 77-78، بيروت 1985، ص 25.

²⁷. أمين ابن براهيم شميل، الوافي في المسألة الشرقية ومتعلقاتها وتاريخ الحرب الاخيرة بين الروس والعثمانيين 1877م، مطبعة الاهرام، الاسكندرية، 1879، ص 233.

المعطيات، في وقت رفضت روسيا الصلح وأصرّت على مواصلة الحرب، بينما سعى الحلفاء لكسب دول أخرى لجانبهم ومنها دولة السويد، وأصبح من الصعب على روسيا مواصلة الحرب خاصة أنها كانت تعاني من ضائقة مالية فأصبحت بذلك أكثر ميلاً نحو عقد الصلح.²⁸

4-نهاية حرب القرم 1853-1856.

1.4 إستلام روسيا القيصرية:

أبدى قيصر روسيا الجديد ألكسندر الثاني رغبة لعقد الصلح، وعمل على استمالة نابليون الثالث لعقد مؤتمر السلام، وكان هذا الأخير قد حقق أهدافه بثبوت حكمه، وإعادة فرنسا لمكانتها، فيما أخذت بريطانيا براى حليفها فرنسا، بل عملت الدولتين على توظيف النمسا للسعي لعقد مؤتمر للصلح مهددين أياها لمساعدة سردينيا على تحرير الأراضي الإيطالية من نفوذ النمسا ما أثار تخوف هذه الأخيرة.²⁹

اتفقت الدول الثلاث بريطانيا، وفرنسا، والنمسا على ما ورد في صيغة الإنذار الذي وجهته الحكومة النمساوية إلى روسيا بتاريخ 12 ديسمبر 1855 والذي تضمن عدة نقاط وهي:

- ✓ استبدال الحماية الروسية على مولدافيا وولاشيا بضمّان الدولة العثمانية من إرسال جنودها إليها دون الحصول على تصريح دولي، مع تعهد روسيا بالتنازل عن سيادتها.
- ✓ حرية الملاحة بنهر الدانوب لجميع الدول.
- ✓ تحييد البحر الأسود بمنع مرور الأساطيل الحربية عبره وفق اتفاقية تعقد بين روسيا والدولة العثمانية تصادق عليها الدول الأوروبية.

✓ تخلي روسيا عن ادعائها بحماية الرعايا المسيحيين الأرثوذكس بالدولة العثمانية.

✓ إمكانية إضافة شروط جديدة إذا اقتضت الضرورة ذلك.³⁰

²⁸. نفسه، ص 234.

²⁹. عزتلو يوسف بك أصفاف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الان، ط1، مكتبة مدبولي، 1995، ص 121.

³⁰. نبيل الكسندرو فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر أنور محمد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص 60.

بعد استلامه للإنذار عقد ألكسندر الثاني اجتماع للمجلس الإمبراطوري بتاريخ 1 جانفي 1856م لمناقشته، وانتهى بقبول شروط الإنذار ما عدا الشرط الأخير، وتم الرد على الحلفاء يوم 5 جانفي 1856م، لكن النمسا هددت بقطع علاقتها مع روسيا في حالة عدم القبول بجميع الشروط، وبعد تدخل ملك بروسيا أقنع قيصر روسيا بقبول الشروط، فعقد القيصر اجتماع آخر للمجلس الإمبراطوري والموافقة على شروط الإنذار وتم إبلاغ الحلفاء بالموافقة يوم 16 جانفي 1856م.³¹

2.4 معاهدة باريس 1856م ومخرجاتها:

بعد قبول قيصر روسيا لشروط الصلح التي أقرها الحلفاء، تم الاتفاق على عقد مؤتمر دولي للسلام بباريس حضرته خمس دول أوروبية وهي فرنسا، وبريطانيا، والنمسا وروسيا، وسردينيا، أما بروسيا فلم تحضر عند الافتتاح بسبب رفض من بريطانيا بحجة سياسة الحياد التي اتبعتها خلال الحرب.³² بدأ المؤتمر جلساته الأولى يوم 25 فيفري 1856م بمحادثات سرية بين الوفد الروسي والفرنسي الذي أقنع نظيره الروسي بإمكانية حصول تقارب روسي فرنسي خدمة لمصلحة كليهما، بينما كان موقف بريطانيا هو الضغط على روسيا والنيل منها حتى لا تسترجع قدرتها على تهديد مصالحها مستقبلا،³³ وهذا ما أدى الى شرح في العلاقة بين بريطانيا وفرنسا ما خدم المصالح الروسية، أما الدولة العثمانية فقد همشت في المؤتمر، ولم تلق الدعم الكافي لمطالبها، بل أن وفدها لم يحضر لعديد الجلسات، وهذا ما يدل أن المؤتمر عقد لمصالح الدول الأوروبية،³⁴ واستمر المؤتمر في عقد جلساته حتى 30 مارس 1856م وفيه تم توقيع على معاهدة التسوية التي تضمنت المبادئ التالية:

- ✓ انتهاء الحرب والعودة إلى السلام وذلك بانسحاب قوات الحلفاء من شبه جزيرة القرم، وإعادة روسيا الأراضي التي احتلتها من الدولة العثمانية.³⁵
- ✓ تبادل الاسرى بين الأطراف المتصارعة.

³¹. عزتلو يوسف بك أضاف، المرجع السابق، ص 122.

³². اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1990، ص 135.

³³. محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة، 1976، ص 200.

³⁴. نفسه، ص 136.

³⁵. اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 136.

- ✓ تعترف الدول الأوروبية بالسيادة العثمانية على المضائق، ويمنع على روسيا بناء أسطول حربي أو حصون على ضفاف البحر الأسود ليصبح محايدا.
- ✓ حرية الملاحة في نهر الدانوب تحت إشراف لجنة دولية.
- ✓ تتمتع الولايتان الدانوبيتان (ولاشيا ومولدافيا) باستقلال ذاتي ضمن الإمبراطورية العثمانية.³⁶

3.4 نتائج حرب القرم 1853-1856:

خلفت حرب القرم الثانية 1853م-1856م نتائج متباينة بالنسبة للأطراف التي شاركت فيها، فهي عموما كانت سلبية على الدولة العثمانية وإيجابية نوعا ما بالنسبة لدول الحلفاء، فبالنسبة للدولة العثمانية سمحت الحرب بزيادة النقود الأوروبي على أرضها، فقد أصدر السلطان عبد المجيد الأول في 18 فيفري 1856م فرمانا يقر بحقوق الرعايا المسيحيين ما سمح لبريطانيا وفرنسا التدخل في شؤونها، كما عمدت بريطانيا وفرنسا إلى مساندة ولايتي الدانوب للخروج عن سلطة الحكم العثماني ثم تبعتهما الصرب، والجبل الأسود بالإنفصال عن الباب العالي لاحقا،³⁷ في وقت خرجت فيه الدولة العثمانية من حرب القرم تعاني من أزمة مالية حادة دفعها للاستدانة من الحلفاء لأول مرة في تاريخها، بينما روسيا خرجت من حرب القرم بعد خسارتها لجزء من أرضها، وأظهرت الحرب مدى ضعف نظام روسيا ما دفعها للقيام بإصلاحات واسعة، أما النمسا فتضررت هي الأخرى لفقدانها السيطرة على مقاطعتي الدانوب، وخسارتها لإقليم المجر، إضافة لانهايار التحالف الذي كان قائما بينها وبين روسيا ما جعلها في عزلة،³⁸ بينما خرجت بريطانيا وفرنسا أكبر مستفيدين من الحرب إذا تمكنا من كسر شوكة روسيا ومنعها من تهديد مصالحها،

³⁶. محمد كمال الدسوقي، المرجع السابق، ص 201.

³⁷. روبير مانتوران، تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، تر بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1989، ص 137.

³⁸. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 117.

كما مكنتهما الحرب من تقوية نفوذهما داخل أراضي الدولة العثمانية، حيث تدخلت بريطانيا في منطقة الحجاز وفرنسا في بلاد الشام.³⁹

الخاتمة:

بعد دراسة هذا الموضوع توصلت إلى مجموعة من النتائج حوصلتها فيما يلي:

- تضافرت عدة أسباب غير مباشرة دفعت لقيام حرب القرم الثانية 1853-1856م إلا أن الأسباب السياسية كان لها الأثر الكبير، والتي تدخل ضمن ما اصطلاح عليه بالمسألة الشرقية ورغبة روسيا الوصول إلى المياه الدافئة ما هدد مصالح بريطانيا وفرنسا.
- ساهمت سياسة الدولة العثمانية في البلقان المتعدد الأعراق على ظهور الحركات الانفصالية مع بداية القرن 19م ما سمح بالتدخل في شؤونها الداخلية وتقسيم ما اصطلاح عليه بأملاك الرجل المريض.
- اتخذت الدول الأوروبية من الأماكن المقدسة مطية لتعزيز نفوذها داخل الدولة العثمانية وهو ما تجلى في التنافس بين الكاثوليك ممثلين في بريطانيا، وفرنسا، والأرثوذكس ممثلين في روسيا القيصرية، ما أدى بشكل مباشر لقيام حرب القرم 1853م-1856م.
- شعرت بريطانيا وفرنسا بخطورة روسيا على مصالحها وأعلنتا وقوفهما الى جانب الباب العالي ضد أطماع روسيا، وهو ما شجع الدولة العثمانية على دخول الحرب وتحقيق انتصارات على حساب الجيوش الروسية لكنها لم تكن حاسمة.
- سمح التدخل البريطاني الفرنسي في حرب القرم ضد روسيا في مارس 1854م بتغيير موازين القوة لصالح الحلفاء، بعد تكبد روسيا لخسائر فادحة بشبه جزيرة القرم، وانسحابها بعدها من مقاطعي الدانوب (ولاشيا ومولدافيا).
- لم تتوقف الحرب بهزيمة روسيا في ولايتي الدانوب بل واصل الحلفاء بريطانيا، وفرنسا والدولة العثمانية هجوماتهم على جيش روسيا بالقرم، وألحقوا به خسائر فادحة شهر سبتمبر 1854م وكان بإمكانهم احتلال مدينة سيواستوبول على البحر الأسود.

³⁹ . عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص، 119.

- لم يحقق مؤتمر فيينا 16 مارس 1855م السلم بين أطراف حرب القرم وهو ما دفع لتجدد الحرب ونجاح الحلفاء في السيطرة على ميناء سيباستبول 5 سبتمبر 1855م، وهو ما عجل بروسيا لقبول الصلح.
- زادت بريطانيا وفرنسا والنمسا من ضغوطات على قيصر روسيا ألكسندر الثاني من خلال اندار 12 ديسمبر 1855م فأضطر الى قبول الشروط بتاريخ 16 جانفي 1856م.
- انتهت معاهدة باريس 25 فيفري الى 30 مارس 1856م حرب القرم بتسويات أملتها الدول المنتصرة بريطانيا، وفرنسا، والنمسا بينما همشت الدولة العثمانية في المؤتمر ما يدل على ضعفها.
- خلفت حرب القرم 1853-1856 نتائج متباينة للأطراف التي شاركت فيها، فكانت إيجابية لبريطانيا وفرنسا لأنها كبحت جماح الدب الروسي في الوصول للمياه الدافئة ، بينما كانت سلبية على الدولة العثمانية حيث فقدت سيادتها على أقاليم في البلقان كما أزداد النفوذ الأوروبي في أراضيها.

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المصادر:

- 1- ابن براهيم شميل، الوافي في المسألة الشرقية ومتعلقاتها وتاريخ الحرب الاخيرة بين الروس والعثمانيين 1877م، مطبعة الاهرام، الاسكندرية، المصرية، 1879.
- 2- بك المحامي محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح احسان حقي دار النفائس، بيروت، 1981.

-قائمة المراجع:

- 1-أبو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2003
- 2-ابراهيم بك حكيم، تاريخ الدولة العثمانية العلية-التحفة الجلدية في تاريخ الدولية العثمانية، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1، بيروت، 1988.
- 3-الدسوقي محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة، 1976.
- 4-بك أصاف عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الان، ط1، مكتبة مدبولي، 1995.

- 5- أحمد ياغي اسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1990.
- 6- ألكسندرو فنادولينا نبيل، الامبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في الثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر أنور محمد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 1999.
- 7- العاني رعد مجيد، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الصراعات والخلافات 1789م-1914م، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الاردن، 2007.
- 8- العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد الى السقوط، دار وحي العلم، دمشق، 2006.
- 9- الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية، ط1، دار الأهلية، بيروت، 2008.
- 10- الخراشي سلمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.
- 11- أيناالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار تر محمد، م، الأرناؤوط، ط1، دار المدار الاسلامي، لبنان، 2002.
- 12- الهاشي عبد المنعم، الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2004.
- 13- المنصور ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار الحامد، عمان، الاردن، 2008.
- 14- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ج8، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.
- 15- طقوس محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1993م.
- 16- عبد الرحمن مصطفى أحمد، في أصول التاريخ العثماني، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1986.
- 17- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1919)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000.
- 18- مانتران روبر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.
- 19- نوار سليمان عبد العزيز، عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة، لبنان، 1973.

قائمة الدوريات:

- 1-سنة عبد الرؤوف، العلاقات الروسية العثمانية 1687-1878، حرب القرم مبادئها وتطوراتها ونتائجها 1853-1856، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 77-78، بيروت 1985.